

بمّا حناجرها هُدّلا مشافرها
 هبت جنوب باولاه ومال به
 فاصح الروض والقيعان ممرعة
 من بين مرتفق فيه ومنطاح^(٢)
 سباني الكلام على بقية الطبقات

تونس

اطلعتنا في جريدة الحاضرة الفراء على الخطاب الذي القاه الوزير المقيم العام (الفرنسوي) لاعضاء الجمعية الشوروية الفرنسية في مأدبة أديها لهم في «دار السفارة» وقد وصفته الحاضرة بانه موضع المحبة التي سلكتها ادارة الحماية في ذلك القطر ويصح ان يكون مياراً لها في الظروف الحالية. فرأينا ان تثبت في جريدتنا عيونه ليقف عليها من لم يعرف سير الفرنسيين في ذلك القطر فنقول

بدأ جناب الوزير كلامه بمبارات الابتهاج بخصب القطر التونسي في هذا العام إثر جذب سابق ثم قال «وقد لحق المطب بالتجارة لفضاضة

(١) الهدل المسترخية ونسب رمي والقرقر الارض المطمئنة الهينة والضاحي البارز والمغرب تشبه السحب بالنوق قال ابن دريد في المنصورة لم تر كازن سواما بهلا نحبها مرعية وهي سدى

(٢) صفة ازن والدلاح الكثير الماء ومثله اللوح والذبح المشي يتناقل والسحاب الممتلئ بالماء يتخزل في سيره نخذلا أي يسير بطيئاً (٣) المرتفق فيه الهبوس يرتفق به وارتفق الاناء امتلاً والمنطاح السائل لم يكن له ما يمسكه

مفرسها وقلة الرميات (كذا) ولذلك يتأكد علينا ان نلتقى الامل على تنقيح قانون ١٨٩٠ الكرمي لاحداث صناعات وجلب الاموال وتحرير مصالحنا التجارية من قيود المعامل العمومية (الاجنبية) التي نستمد منها المصنوعات . ولقد قاومت بشهامة تيار الرياح المضادة واقم برها جديداً على حياة الامة الفرنسية بالايالة التونسية »

ثم ذكر من مودته لهم وان على فرنسا ان تقتخر بهم وبين العلة بقوله « ذلك انكم جبتم على سداد الافكار ولم تقادوا لتلك الاميال الناشئة عن عدم التبصر التي تحير وجه قطرنا بدون ان تبلغ طبقاته العميقة (ماهي تلك الاميال والطبقات العميقة يارى) ولقد لازمتم الرزاة اثناء انبثاق البه غناه بين الاجناس وهو اثر من آثار السلف السابق والقرون الخالية دفقته ريح عاصفة من اصقاع فرنسا والجزائر (تأمل) ولما ظهرت باقسام الحاضرة التونسية الاهلية شائبة الاضطراب أمكن بتمام سداد آرائكم اخذتلك الشرارة في يوهين ولولا ذلك بان تقتختم في رمادها التسمرت نيرانها (وهل ذلك من شأن أمثالهم ؟ نعم اذا اقتضه السياسة) فاشكركم على موازرتكم للحكومة واعانتكم لها على ابلاغها مقصودها

« ومن علامات السعادة في هذا القطر خلوه من المحترفين بالسياسة وهم أناس انحصرت اسباب تعيشهم في السياسة وان شئت قلت في الضغب والجلبة والنفير (كذا) والعبارات الخالية من المماني والرشوة في الانتخاب فالناس كلهم في هذه الديار منكبون على الشغل فاعضاء الجمعية الشورية مثلاً كل منهم له حرفة وصناعة وكل منهم يتكلم بخصوص مصالح مهمة اتقن معرفتها ودرس اسرارها (هكذا فليكن) وهو ما يستحيل تصوره في جهة اخرى نفق فيها سوق السياسة »

ثم فضل الخطيب الفرنسيين في اية تونس على أمثالهم في نفس فرنسا
 ودفع ما يرمون به من قلة السعي والحزم بانهم أسسوا مدينة حديثة بجميع
 فروعها في اقطار مهمة ومن قلة الشركات بان الشركات ملأت الطبقات
 ثم ذكر ان القطر التونسي قامت فيه الادارة باعمال جسيمة بقليل من
 الموظفين الفرنسيين وبان الحكومة والنزلاء على وفاق اذا تنازعا فبمجرد
 الفراغ من المناقشة يتصافح المتنافسون . يرد بذلك على من يقول ان
 الفرنسيون ميالون لوظائف لاجل الراحة وان عادة الفرنسيين مناصبة
 الحاكم للمحكوم . ثم قال

« واحكم في ختم هذه البدع الجليلة (كذا) على نبت التعزب الفاضل
 (لعله يريد الموقع في الفشل) بمعنى ترك التعصب الأعمى على بقية الاجناس
 والملل المتعددة (تأمل) فان طلبتم منا الثبات والحزم فاطلبوا منا أيضاً
 الانصاف مع أبناء البلاد ولا تصموا عن فرط تسرع كدرا لا يدوم الا كما
 يدوم السحاب (هكذا) فلا تستنجوا من سرقة اعرابي بقرة مؤامرة
 عموم المسلمين (انظر الى هذا الافراط في الحذر) ولئن لحقكم الاذى
 من جهل بعض المسلمين أكثر من مكرهم فلا تلومونا على السعي في تنوير
 عقولهم بأوار المعارف ولكن لا تسألونا الصرامة والحدة أكثر مما أنتم
 عليه مهتم . - ولقد أصبحتم قائلين في هذه الديار بمهمة حقت بالمشاكل
 ولكنها كملت بالمفاخر وأسست على دعامة التمدن حساومعنى تلقاء التربة
 والنوع البشري بخلاف المعمر في اقطار أميركا واستراليا فان همته انما
 صرفت الارض خاصة لا لتثقيف العقول وتهذيب النفوس وحضارة أمة
 شريفة النسب جليلة المدنية وتنفيذية فوسها بلان الحضارة الفرنسية حتى

يكون أفرادها من أعوانكم طيبا (لينظر أجهلاء المنكرون فوائدا للتربية والتعلم وان عليهما مدار العمران) فكل عمل من أعمال بدنا وتساهلنا يكون موضوع تأويل وشروح لا تحصى فهو بمنزلة حبة نسينها الرياح وربما أنبتت سنابل في شاسع الاقطار كاقطار بحر السودان وبحيرة شاد وفي كل مكان خفق فيه العلم الفرنسي ازاء العلم الاسلامي المهمل (كذا في الاصل ومعناه المقوس أي المنحني ولعل مراده المهمل أي الرقيق ١١) فتلك مأمورية جديرة بفرنسا الكريمة البارة التي هي أقل أمم أوروبا أثره بالمصلحة وأحسنه خبرة بكشف غوامض أسرار تلك الاقاليم المجهولة وأكثرهن تحقيقا للعلوم وأعلاهن كلمة وأوفرهن رغبة ١١

«أيها السادة طوبى لمن جبل على الخير، وأشفق على الفير، وتوجع خانا لمن لحقه الضير، وتنازل تواضعا لسماح نداء الفقير، وتلقى شكاية الجاهل الحقير، وويل لمن غرته علياؤه، وعجبه وخيلاؤه، ففي التواضع قوة عظمى تمتد بها الكلمة ويصلو بها الشأن وربما عاد ذلك بأخذ النار في مستقبل الاجيال فانه وان حالت ظروف تاريخية لا تخفى دون مساعينائي الاستعمار المبني على حب الأثرة والانانية وهو الاستعمار الذي قوامه القوة المادية فلا غرو ان كان تقدمنا في افريقيا وآسيا ناتجا عن خصال يشاركنا فيها محالفونا الروس وهي حسن المعاشرة وكرم الاخلاق اه (انظر الى غرضه من نصائحه وحثه على التساهل والتواضع ترى انه حسن الذكر المساعد على امتداد السلطة في شعوب داخل افريقية المسامين) .

ثم ذكرت جريدة الحاضرة القراء ان أعضاء الجمعية أدبوا مادبة فاخرة للوزير عمدة الجمهورية وعند ادارة كؤوس المدام بعد تناول الطامام اتى كاتب سر

اللجنة خطاباً اثنى فيه على جناب الوزير بأعماله المفيدة للزلاء لاسيما «حل مسألة الكمارك المهمة الدالة على تأييد مبدأ الحماية» و «بمنابته بترقي شبان الترويسين في مدارج المعارف بما تقتضيه ضرورياتهم» فأجاب الوزير عن ذلك بخطاب قال فيه

«ولقد سررت جداً إذ رأيت كاتب سر الجمعية أبدي ملحوظات فائقة في شأن تهذيب الاهالي وتثقيف عقولهم بالمعارف فان تلك الملحوظات موافقة كمال الموافقة لمقاصد الحكومة ولرغبة جميع أهل الصلاح من المسلمين فانهم على رأينا في عدم استحسان ترشيح من لم تستكمل معارفهم فيشردون وهم أناس يبذوا عوائدهم وعقائدهم فأصبحوا من سقط متاع الاورباويين . وجمهور القوم متمسكون بدينهم ولهم الحق أن يتسكروا به ونحن على رأي أكثرهم معرفة واستنارة في ان هذا الدين لم يثب عنه تحصيل المعارف الثابتة وعلوم التحقيق . اما صرف وجهة المسلمين في التهذيب للصنائع الزافمة فيمكن أن يقال انه من شواغل مدير العلوم والمعارف . اما الاوامر الصادرة في معاوضات واكرية الاوقاف فهي حديثة عهد بالصدور ولا يمكن الحكم عليها الآن بل لابد من كره الزمان للناس بالعمل بهذه الطريقة الجديدة على اننا نتلقى باهتمام كل تحسين وتقيح جزئي يرد لنا في هذا الخصوص بشرط أن لا يمس ذلك بجوهر هذه المصلحة الدينية» اه ما أردنا نشره محافظين فيه على الاصل في الاكثر

كأرايت